

دور اليهود التخريبي

في صدر الاسلام

د. جواد كاظم شايب
جامعة القادسية - كلية الآداب

المقدمة:

هذا البحث يدور حول (دور اليهود التخريبي في صدر الإسلام) حيث قسمت بحثي هذا الى ثلاث مباحث ، تناولت في المبحث الأول : اليهود في التاريخ ، حيث تطرقت الى معنى العبرانية ولغة العبريين واليهود قبل الإسلام.

وتناولت في المبحث الثاني : موقف الرسول(ص) من اليهود ، حيث تطرقت الى تحذير وتخوف الرسول(ص) من اليهود ، ودورهم في معركة بدر وفي غزوة بني قينقاع وفي غزوة بني قريضة وفي غزوة خيبر .

وتناولت في المبحث الثالث : دور اليهود في نشأة الفرق المتطرفة ، حيث تطرقت الى دور اليهود في نشأت الغلاة ، والكيد السياسي عند اليهود ، وتحريف اليهود للشفاعة ، وولادة المذاهب المتطرفة ، ومضاهاة بعض المسلمين اليهود ، ودور اليهود في عبادة الأوثان ، ودور اليهود في نشأة التجسيم .

وأنه موضوع مهم لعدة أسباب أطلعنا على خلفيات بعض الفرق الإسلامية أو المحسوبة على الإسلام ، فوجدت الأصابع اليهودية وراء بعض الفرق من خلال مؤسسيها الذين كانوا ينتمون الى تلك الديانة قبل الإسلام ، ولا يخفى أن كثيرا منهم كانوا يبطنون عقائدهم السالفة أو يظهرونها بقلب إسلامي لذلك نرى الأفكار الترقيعية الهجينة وانتشار الإسرائيليات في بعض الكتب الإسلامية .

المبحث الأول : اليهود في التاريخ

معنى العبرانية: أن العلماء لا يتفقون على معنى هذه الكلمة وإن اتفقوا جميعا على مدلولها ، فالعبري هو المنحدر من ذرية إبراهيم ، ولكن لماذا سمي عبريا أو عبرانيا ؟ يرى بعض الباحثين أن إبراهيم سمي عبريا لأنه عبر النهر ، ويحتمل أن يكون النهر المقصود هو نهر الفرات كما يحتمل أن يكون نهر الأردن^(١)

(١) أحمد الشلبي: مقارنة الأديان ، اليهودية ص ٣٧ ؛ سليمان مظهر : قصة العقائد ص ٢٨٤

وهناك رأي آخر هو احتمال أن يكون إبراهيم منسوباً إلى جد من أجداده الأقدمين يعرف باسم (عبر) ، ولكن الدكتور ولفنسون لا يرضى بهذا الرأي ، ولا بالرأي الذي قبله ، ويرى أن كلمة عبري لا ترجع إلى حادثة يعينها أو شخص بعينه ، وإنما ترجع إلى الموطن الأصلي لبني إسرائيل ، وذلك أن بني إسرائيل كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان ، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بإبلها وماشيتها للبحث عن الماء والمرعى ، وكلمة عبري في الأصل مشتقة من الفعل الثلاثي عبر بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو عبر الوادي أو النهر من عبرة إلى عبرة ، أو عبر السبيل : شقها ، وكل هذه المعاني موجودة في هذا الفعل سواء في العربية أو العبرية ، وهي في مجملها تدل على التحول والتنقل الذي هو من أخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية ، فكلمة عبري مثل كلمة بدوي أي ساكن الصحراء أو البادية وقد كان الكنعانيون والمصريون والفلسطينيون يسمون بني إسرائيل بالعبريين لعلاقتهم بالصحراء ، ولميزوهم عن أهل العمران ، ولما استوطن بنو إسرائيل أرض كنعان وعرفوا المدنية والاستقرار صاروا ينفرون من كلمة عبري التي كانت تذكرهم بحياتهم الأولى حياة البداوة والخشونة ، وأصبحوا يؤثرون أن يعرفوا ببني إسرائيل فقط ^(١) .

والعبريون ينحدرون من العرق السامي الذي ينتسب له الآشوريون والعرب ، وكانت بلاد العرب الوسطى والشمالية مهد الساميين ، وقد هاجر فريق منهم إلى الشمال في بلاد بابل حيث كان السلطة لحضارة السومريين والأكاديين ، فأقاموا بها من الزمن ما أشبعوا فيه من تلك الحضارة ، ثم كثر عددهم فهاجروا من جديد في أدوار مختلفة ، فتقدموا نحو الشمال أكثر مما تقدموا قبل ذلك ، وانحدر بعضهم نحو الجنوب ، والساميون الذين بقوا في بلاد العرب هم أجداد الشعب العربي ، والساميون الذين مروا من موطن الحضارة في الفرات الأدنى ثم انتشروا في جميع آسيا وفلسطين هم الآشوريون والإسرائيليون ^(٢)

لغة العبريين: ينبغي عند الحديث عن لغة العبرانيين أن نتذكر أن هؤلاء المهاجرين استغرقوا في رحلتهم فترة طويلة لم تحدد المراجع التاريخية ، ولكن لنا أن نتصور أن رحلة من أور الكلدانيين إلى أرض كنعان ، يمضيها مهاجرون معهم أنعامهم وأبقارهم ، لا بد أن تكون قد قطعت في عدة سنوات ، وبخاصة إذا لاحظنا أن هؤلاء المهاجرين لم يكن لهم هدف يسعون له ، وإنما كان كل هدفهم أن يهربوا من أعدائهم الذين نفروا من دعوة إبراهيم ، ومن أجل هذا نتصور رهط إبراهيم يحط الرجال من حين إلى حين كلما وجد مرعى للماشية أو مستراحاً للرهط ، وفي خلال هذه الرحلة اقتبس رهط إبراهيم كلمات كثيرة من الأمم التي اخترقها الرهط المهاجر ، فلما

^(١) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٧٧ - ٧٨

^(٢) غوستاف لوبون : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٣٦

وصلوا إلى أرض كنعان كانت اللغة التي يتكلمون بها عبارة عن لهجة آرامية أقرب ما تكون إلى العربية ، ولكن العبريين كانوا ينطقون هذه اللهجة متأثرين بقواعدهم ونحوهم ومفرداتهم اللغوية وقد اصطلح على تسمية هذه اللهجة العبرية ، ولم يبد للغة الجديدة استقلال إلا حوالي سنة ١٤٠٠ ق م ، وأول النصوص المعروفة بهذه اللغة يرجع إلى سنة ١٢٠٠ ق م وقد ماتت هذه اللغة حوالي سنة ٢٠٠ ق م فعملها لا يزيد عن ألف عام ^(١)

ويلاحظ أن اللغة العبرية عندما انقرضت كلغة للتخاطب لدى بني إسرائيل ، بقيت حيناً يستخدمها الكهنة في الكتابات الدينية ، أما لغة التخاطب بينهم فقد أصبحت اللغة الآرامية ، التي انتشرت في العراق وفي سوريا وفلسطين وغيرها . وبعد فترة حلت الآرامية محل العبرية في الكتابة أيضاً ، ولكن اللغة اليونانية سرعان ما زاحمت الآرامية في الحديث والكتابة ، وقد كتبت أسفار العهد الجديد باليونانية إلا إنجيل متى فيرجح أنه كتب باللغة الآرامية ثم ترجم لليونانية

وبعد مولد إسماعيل بحوالي أربع عشرة سنة ولدت سارة لإبراهيم ابنه الثاني إسحق ، ثم توفي إبراهيم وترك ابنه الأكبر إسماعيل بالحجاز ، وابنه الأصغر إسحق بأرض كنعان ، وأنجب إسحق ولدين هما عيسو ويعقوب المسمى إسرائيل وإليه ينسب بنو إسرائيل ، وما يتصل بالسير التاريخي لبني إسرائيل ، فنذكر أنه تزويج بنتي خاله وهما ليئة وراحيل وتزويج أيضاً من زلفة جارية ليئة ومن بلهة جارية راحيل ، وأعقب منهن اثني عشر ابناً ، هم : من ليئة : راوبين - شمعون - لاوى (من نسله موسى) - يهوذا (من اسمه أخذت كلمة يهود) - يساكر - زبولون . من راحيل : يوسف - بنيامين . من زلفة : جاد - أشير . من بلهة : دان نفتالي ^(٢).

اليهود قبل الإسلام:

يقول المؤرخون وأهل الأخبار أن الأحبار والرهبان ومن رأى النبي(ص) من الكهان في سفرة أبي طالب الى بلاد الشام ، لا سيما راهب بصرى (بحيرى) ، الذي أخبر عمه أبو طالب أنه نبي هذه الأمة ، وكان يعلم مما شاهده من صفاته ومعاجزه ، وأصر عليه أن يرجعه إلى مكة حتى لا يغتاله اليهود ، الذين يرون العلامات التي في كتبهم متحققة فيه ، فقطع سفرته وعاد به إلى مكة كما أن بعض المخلصين من الأحبار والرهبان وكل من رآه قد نصحوا أبا طالب بالحرص عليه ، وخوفوه من غدر اليهود الذين كانوا ينتظرون مولوداً من قرش يبعثه الله رسولا إلى العرب والعجم ، راح بحيرى يسأل النبي(ص) عن أشياء يهدف من ورائها كشف الحقيقة وتعميق حدسه ، عاد الراهب يسأل أبي طالب سؤال : - ما هذا الغلام منك ؟ - ابني - ما هو

^(١)فؤاد حسنين : التوراة ص ١١ ؛ أحمد الشلبي : مقارنة الأديان ، اليهودية ص ٤٥

^(٢)أحمد الشلبي : مقارنة الأديان ، اليهودية ص ٥٠

بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال أبو طالب : فإنه ابن أخي . - فما فعل أبوه ؟ قال أبو طالب : مات ، وأمه حبلى به . قال الراهب : صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه من اليهود ، فوالله لأن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبيغينه شرا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلاده فعاد به وهو أشد ما يكون عليه حذرا ^(١).

فإننا لا نشك في ضلال اليهود ، وفي أن الله غضب عليهم ، لمخالفتهم أوامر ربهم ، ولولا ذلك لما حذرنا نبينا ص من اتباع سننهم ، وأنذرنا رحمة منه بنا وإتماما للحجة علينا ، ولذلك نقطع بضلال من نبذ التمسك بأهل بيت رسول الله واتبع سنن بني إسرائيل ^(٢).

المبحث الثاني : موقف الرسول (ص) من اليهود

تخوف الرسول (ص) من اليهود :

حذر الله ورسوله المؤمنين من اليهود في عدة آيات من الذكر الحكيم ، وعدهم القرآن أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، فقال تعالى : (أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا...) ^(٣) لأنه سبحانه كان مطلعا على نواياهم وسرائرهم وأنهم هم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا يستبجحون الكذب والافتراء على الله ورسوله ، في حين أنهم (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) ^(٤)

وجاء عنه (ص) أنه أمر زيد بن ثابت بتعلم السريانية خوفا من اليهود ، فقال (ص) لزيد: إنني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزدوا علي أو ينقصوا فتعلم السريانية ^(٥) فالرسول الأكرم جد في تعليم المؤمنين ، وسعى لمحو الأمية ، لأن في توعية المؤمنين غاية الرقي والتعلم .

تأثير اليهود على عرب الجزيرة

أن عرب شبه الجزيرة لم تكن لهم مدنية راقية ولا ثقافة عالية ، وأنهم قد تأثروا كثيرا بالوافدين كاليهود ، وكانوا يرجعون إليهم في كثير من الأمور لكونهم قادمين من حضارات عريقة يحملون معهم أخبار الديانات والمغيبات ، وأنهم أصحاب كتب ومدونات ، فكانوا ينظرون إليهم نظر التلميذ إلى معلمه ، ويعدهم مصدر الثقافة الدينية والعملية ، فما عرض الإسلام على قبيلة أو عشيرة منهم إلا وهرعوا إلى مناطق اليهود يستفتونهم في قبول هذا الأمر أو رده .

^(١) حسين الشاكري: شيخ البطحاء أبو طالب (ع) ص ٢٠

^(٢) محمد بن عقيل: تقوية الايمان ص ٢١٠

^(٣) سورة المائدة ٥ : ٨٢

^(٤) سورة البقرة ٢ : ١٤٦

^(٥) ابن عساکر: تاريخ دمشق ٦ / ٢٨٠ ؛ الطبقات الكبرى ٢ / ١١٥

١ - ومما جاء في هذا الأمر أن رسول الله (ص) دعا قبيلة كندة إلى الإسلام ، فأبوا قبوله ، فأخبرهم شخص أنه سمع من اليهود أنهم قالوا : إنه سوف يظهر نبي من الحرم قد أظل زمانه^(١) .

٢ - نجد قبيلة بكاملها تذهب إلى يهود فدك لتسألها عن قبول الإسلام أو رده^(٢)

٣ - نقل ابن عباس عن حي من الأنصار كانوا أهل وثنية ، أنهم كانوا يرون لليهود المجاورين لهم فضلا عليهم في العلم ، وكانوا يقتدون بكثير من فعلهم^(٣) ، إلى غير ذلك في النصوص الدالة على اعتقاد عرب شبه الجزيرة قبل الإسلام باليهود ، وأنهم أهل الفضل والعلم وممن يرجع إليهم في أمر الحياة والدين .

دور اليهود في معركة بدر (٥٢هـ):

في السابع عشر من شهر رمضان ، كانت حرب بدر الكبرى بين المسلمين ومشركي قريش في مكة ، ومنطقة بدر تقع على بعد مائة وستين كيلو مترا عن المدينة المنورة بالطريق بين مكة والمدينة باتجاه مكة وقال تعالى : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون)^(٤) . وبعد رجوع فلول قريش من بدر إلى مكة منكسرين منهزمين ، تحسس اليهود خطر زوال مكانتهم السياسية والاقتصادية ، ولذا فقد بدأت المناوشات والتحرشات من قبل المنافقين واليهود لتفجير الموقف بقصد خلق القلق وعدم الاستقرار في المدينة لينعكس ذلك في الخارج لحث المشركين وتشجيعهم على التحرك ، وأصبح هذا الخطر لا يقل عن خطر قريش على الدعوة ، وكل ذلك كان تحت سمع وبصر النبي (ص) وما كان يخفى عليه شيء ، لكنه كان (ص) يوصي أصحابه بالهدوء والروية وضبط النفس وازداد اليهود والمنافقون بنشاطهم المعادي للإسلام ورسوله (ص) ظانين ذلك من ضعف النبي (ص) أو خوف منهم وأصبحوا يعدون العدة جهارا للكيد للرسول وأصحابه مهما كانت النتائج ، وأخذ بعضهم يتجاهر بالتحريض ونظم الشعر في انتقاص النبي (ص) وأصحابه ، منهم : أبو عفك ، وكعب بن الأشرف ، وابن سنيينة ، وأبو رافع ، وحتى النساء تجاسرت ، منهن العصماء بنت مروان وغيرها^(٥) .

(١) أبي نعيم : دلائل النبوة ١١٣

(٢) البداية والنهاية ٣ / ١٤٥ ؛ أبي نعيم : دلائل النبوة ١٠٢

(٣) الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير : ١٠٩

(٤) الصدر نفسه ، الآية : ١٢٣

(٥) حسين الشاكري : النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ١ / ١٥٩

لذلك خطط المسلمون تصفيتهم كل بحسب ظروفه لهما من إجلاء والمبادرة إلى غزو الأعراب قبل غزوهم المدينة ، اذكر أسمائهم فقط دون التفصيل روما للاختصار ، بعد حصول الموافقة من الرسول (ص) .

أ - مقتل اليهودي أبو عفك ، لما تجاهر بهجو النبي والمسلمين بأشعاره وتحريض قومه على النهوض ضدهم .

ب - مقتل اليهودي كعب بن الأشرف ، الذي خرج إلى مكة يحرض قريش على النبي وأصحابه ، بغزو المدينة .

ج - مقتل ابن سنيّة ، الذي كان من أشد اليهود هجاء وتحريضا على المسلمين ونبههم ، فأهدر النبي (ص) دمه

د - مقتل اليهودي أبو رافع ابن الحقيق بخيبر الذي كان يتظاهر بالبغي والعدوان على الرسول وأصحابه (١) .

موقف الرسول(ص) من بني قينقاع :

لما قدم النبي(ص) في هجرته إلى المدينة رأى موقع الإسلام والمسلمين بين اليهود خطر ، فإنهم كانوا محدقين بالمدينة وهم بنو النضير وبنو قريضة ، وبنو قينقاع ، فكان أول أعمال النبي(ص) في هجرته أنه عاهد هؤلاء اليهود على السلم وأمانة الجوار وأن لا يكيدوا المسلمين ولا يخونهم ولا يساعدوا عليهم عدوا ، ولكن بني قينقاع غدروا بعد وقعة بدر وصاروا يكاتبون المشركين وأنشبو حربا بينهم وبين المسلمين فغزاهم النبي(ص) وانتصر عليهم فطلبوا النجاة بالجلاء عن بلادهم فسمح لهم بذلك (٢) .

موقف الرسول(ص) من غزوة أحد(٣هـ):

تجمعت قريش بعديتها وعديدها لغزوا النبي(ص) وأصحابه في المدينة ، رأى النبي(ص) أن اليهود لا يكادون يثبتون على عهدهم فقصدتهم هو وأصحابه لتأكيد العهد وأخذ الميثاق منهم ، فأبى بنو النضير فعدل عنهم إلى بني قريضة فأعطوه عهدهم مجددا على أن لا يغدروا بهم ولا يساعدوا المشركين عليهم ، فرجع عنهم إلى بني النضير وحاصرهم على إعطاء العهد فاخترأوا الجلاء عن بلادهم فسمح لهم بذلك حفظا للسلام بين البشر فحملوا كل ما يقدر على حمله ، ونزل أكثرهم في (خيبر) لكي يكيدوا محمدا(ص) عن قرب (٣) .

(١) حسين الشاكري : النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ١ / ١٨٨

(٢) الشيخ محمد جواد البلاغي : الرحلة المدرسية ٢ / ٢٣٠

(٣) المصدر نفسه ٢ / ٢٣١

غزوة الخندق (هـ):

وفي غزوة الخندق كان يهود بني قريظة لا يزالون على عهدهم مع رسول الله الذي تم بينهم حينما دخل إلى المدينة ، فـدس إليهم أبو سفيان حي بن أخطب لينقضوا العهد وينضموا إلى صفوف المشركين ، وبذلك يشتد الحصار على النبي وأصحابه ، وكان زعيمهم كعب بن أسد القرظي ، هو الذي وقع العهد مع النبي (ص) فذهب إليهم حي بن أخطب ولما انتهى إلى النبي (ص) أن كعبا قد نقض العهد وانحاز إلى الغزاة ، بعث رسول الله سعد بن عبادة حليف بني قريضة ، وعبد الله بن رواحة ، وخوان بن جبير أحد بني عوف ، وقال لهم : انطلقوا حتى تنتظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقا فالحنوا إلي لحنا ولا تصرحوا ، وإن كان لا يزال على العهد الذي كان بيننا وبينه فاجهروا بذلك ليعلم الناس كذب ما بلغنا . فلما انتهوا إليه وجدوا بني قريظة على أخبث ما بلغهم ، فنالوا من رسول الله (ص) وقالوا : لا عقد بيننا وبين محمد ، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وعادوا إلى رسول الله (ص) فقال رسول الله : الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين ، واشتد عند ذلك البلاء وعظم الخوف.^(١) ووصف الله سبحانه موقف اليهود بقوله : (واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غورا)^(٢)

موقف الرسول (ص) من غزوة بني قريضة :

بنو قريضة فخذ من جذام إخوة النصير ، نزلوا بجبل يقال له قريظة فنسبوا إليه ، وقيل : إن قريظة اسم جدهم .

لما رجع الرسول (ص) وأصحابه من غزوة الخندق ودخل المدينة واللواء لا يزال معقودا ، أراد أن يغتسل من الغبار ، فناداه جبرائيل (عليه السلام) : عذيرك من محارب ، والله ما وضعت الملائكة لامتها ، فكيف تضع لامتك ؟ إن الله يأمرك أن لا تصلي العصر إلا ببني قريظة فإني متقدمك ومزلزل بهم حصنهم .

فتقدم الامام علي (ع) بالراية العظمى ، وخرج رسول الله (ص) وخلفه الناس فبادروا إلى بني قريظة فحاصروهم وبعد ثلاثة أيام نزل إليه غزال بن شمول فقال : يا محمد تعطينا ما أعطيت إخواننا من بني النضير ، احقن دماءنا ، ونخلي لك البلاد وما فيها ولا نكتمك شيئا . فقال : لا أو تنزلون على حكمي ، فرجع وبقوا أياما ، فلما اشتد عليهم الحصار نزلوا على حكم رسول الله (ص) ، فأمر بالرجال فكتفوا وكانوا سبعمائة ، وأمر بالنساء والصبيان فعرلوا .

(١) المصدر نفسه ٩/٢

(٢) سورة الأحزاب الآية ١٠ - ١٢

ولما يؤسوا من تراجع المسلمين عنهم ، بعثوا إلى النبي (ص) : أن أرسل لنا حليفنا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا عمرو بن عوف نستشير في أمرنا ، فأرسله رسول الله (ص) إليهم ، فلما رآوه قام إليه الرجال والتف حوله النساء والأطفال ليكون ، وقالوا له : يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه يريد بذلك أنه الذبح إن لم تنزلوا ، وندم أبو لبابة على إشارته هذه ، كما جاء في كتب السيرة ، واعتبرها خيانة للنبي (ص) فخرج من بني قريظة إلى المسجد ، وربط نفسه إلى عمود من أعمدة المسجد حتى يتوب الله عليه^(١) وأخيرا قبل الله توبته وأنزل بشأنه آية : (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم)^(٢)

وبعثت قريظة إلى النبي (ص) تعرض عليه الخروج إلى أذرعات تاركة وراءها ما تملك فأبى إلا أن ينزلوا على حكمه ، فأرسل بنو قريظة إلى حلفائهم الأوس ، يطلبون إليهم التوسط إلى النبي (ص) بقبول هذا العرض كما تدخل الخرج في أمر بني النضير ، فمضى جماعة من الأوس إلى النبي (ص) وقالوا : يا رسول الله ألا تقبل في حلفائنا مثل الذي قبلت من بني النضير حلفاء الخرج ، فقال لهم النبي (ص) : ألا ترضون أن أجعل بيني وبين حلفائكم رجلا منكم ، قالوا : بلى يا رسول الله قال : فقولوا لهم أن يختاروا من الأوس من يشاؤوا ، فاختار اليهود سعد بن معاذ ، ونسوا موقفهم مع سعد حينما نقضوا العهد وانضموا إلى الغزاة من قريش وغطفان ، وتحذيره إياهم من الإقدام على هذا الأمر ، وكيف قابله بشتيم الرسول (ص) وأصحابه حتى اضطروه أن يقابلهم بالمثل .

وكان سعد بن معاذ قد أصيب بسهم في أكحله قطع عرقا منه خلال حصار الأحزاب للمسلمين ، نزف منه أكثر دمه ، وأصبحت حياته مهددة بالخطر ، فلما اختارته قريظة ليكون حكما بينها وبين النبي (ص)

فقال سعد: إني أحكم فيهم بقتل الرجال وسبي النساء والذاري وتقسيم أموالهم على المسلمين، فقال له النبي (ص) : لقد حكمت فيهم بحكم الله فوق سبع أرقعة^(٣)، وأنزل الله آية: (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيصهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا^(٤)).

(١) ولا يزال مكان أسطوانة أبي لبابة موجود في مسجد الرسول (ص) . كما تسمى بـ " أسطوانة التوبة " .

(٢) التوبة الآية ١٠٢

(٣) العقاد: العبقريات الإسلامية ص ٢١٩

(٤) الأحزاب الآية ٢٦ - ٢٧

موقف الرسول(ص) من غزوة خيبر(هـ٧):

اطمأن النبي (ص) بعد صلح الحديبية إلى حد ما من ناحية قريش والعرب الذين كانوا لا يزالون على الشرك ، واتجه بعد ذلك إلى إرسال دعائه إلى حكام الفرس ، والروم ، وعمان ، واليمامة ، وغيرها من البلاد المتاخمة لحدود الحجاز ، ولكنه ظل يراقب اليهود الذين لا يزالون خارج المدينة ويخشى غدرهم ، واليهود أشد من العرب وغيرهم عداوة للإسلام ، وقد يجدون من الدول المتاخمة لحدود الحجاز من يحركهم ويغريهم بالمساعدة ويذكرهم بإخوانهم بني قريظة والنضير وقنيقاع الذين أجلاهم النبي من ديارهم وسفك دماءهم ، ومن الصعب أن يطمئن إليهم ويوادعهم كما وادع قريشا في مكة بعد أن جربهم ووجدهم لا يلتزمون بعهد ولا يحلف ، وأخذ يعد العدة لغزورهم في حصونهم ومعقلهم قبل أن يتصلوا بغيرهم من القبائل المعادية للإسلام داخل حدود الحجاز وخارجها .

ولم يلبث بالمدينة بعد رجوعه من الحديبية أكثر من شهر - كما هو الشائع بين المؤرخين - حتى أعلن عن رأيه لأصحابه ، وأمرهم أن يتجهزوا لغزو خيبر في أسرع وقت ممكن ، على أن لا يغزو معه إلا من شهد الحديبية ، إلا أن يكون غازيا متطوعا
وخرج من المدينة في ألف وستمئة من المسلمين ، واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي ، وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب ، ومضى النبي في طريقه إلى خيبر ، وقطع المسافة بينها وبين المدينة بثلاثة أيام ، ودخل إلى مشارفها ليلا ، فنزل هو وأصحابه بالقرب منها ، ودعا الله بالنصر وأن يرده إلى المدينة فاتحا غانما .

وفيما اليهود يخرجون من بيوتهم مبكرين على عادتهم لمزارعهم ومصالحهم فوجئوا بجيش المسلمين على أبواب مدينتهم فولوا راجعين يصرخون : هذا محمد قد جاءكم بأصحابه وأحاط بكم ، فانتبه الناس من نومهم مذعورين ، واستبشر النبي (ص) وقال : الله أكبر ، لقد خبت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

ويبدو من بعض كتب السيرة أن اليهود كانوا يتوقعون هذا الغزو وكانوا على اتصال بغطفان ، وعندما فوجئوا بالمسلمين اتصلوا بها على الفور وطلبوا الإسراع في النجدة ، ويدعي بعض المؤرخين أنها هبت لنصرتهم ولكن جيش المسلمين قد حال بينهم وبين ما يريدون .

فلقد كان يهود خيبر من أقوى الطوائف اليهودية في بلاد الحجاز وأكثرهم عددا وعدة وأمنعهم حصونا ، ووقف العرب عامة وبخاصة قريش يتطلعون بشوق ولهفة إلى نتائج هذه الغزوة ، ويأملون أن تكون الدائرة فيها على المسلمين ، ويتراهنون على نتائجها ، وتشاور اليهود فيها بينهم واتفقوا أخيرا على القتال ، فأدخلوا نساءهم وذراريهم وأموالهم حصني الوطيح والسالام ، وأدخلوا ذخائرهم حصن ناعم ، ودخلت المقاتلة حصن نطاة ، والتقى الجمعان حول هذا الحصن واقتتلوا

قتالا شديدا حتى جرح عدد كبير من المسلمين ، وقتل محمود بن مسلمة ، برحى ألقاها عليه أحد اليهود من أعلى الحصن .

ولما بلغ الجهد بالمسلمين ونفذ أكثر زادهم قال النبي (ص) بصوت رفيع سمعه أكثر المسلمين : " والله لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله " ولما أصبح الصباح نادى (ص) : أين أخي وابن عمي علي بن أبي طالب (ع) قيل له : إنه أصيب برمد في عينيه ، قال : فأتوني به ، فاستدعاه النبي وكان أرمد العين كما اتفقت على ذلك الروايات ، فمسح بيده الكريمة على عينه ، وقيل : فأخذ من ريقه الشريف فمسح به على عين علي (ع) فبرئت من ساعتها ، وقال له : خذ الراية ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك ، فقال له علي (ع) : على ماذا أقاتلهم يا رسول الله ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وإني رسول الله ، فانطلق الأمام علي (ع) يهرول هرولة حتى ركز الراية بين حجارة مجتمعة تحت الحصن ، وخرج إليه اليهود يتقدمهم أبطالهم وفيهم الحارث أخو مرحب وكان من شجعانهم المعروفين فحمل بمن معه على المسلمين ، فوثب علي (ع) وضربه بسيفه فخر صريعا ، ثم كر بأصحابه على اليهود فتفرقوا بين يديه وانخلوا بعد مقتل الحارث وجماعة منهم وولوا منهزمين إلى داخل الحصن ، فاستعظم ذلك قائدهم مرحب بعد أن شهد مصرع أخيه وهزيمة من معه ، فخرج من الحصن يتبجح بشجاعته وعليه درعان وقد تقلد بسيفين وتعمم بعمامتين ومعه رمحه وهو يرتجز ويقول : قد علمت خبير أنني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب إذا السيوف أقبلت تلتهب * أطعن أحيانا وحيثما أضرب فبرز له علي (ع) وهو يقول : أنا الذي سمتني أمي حيدرة * كليث غابات شديد قصورة أكيلكم بالسيف كيل السندرة فاختلف هو وعلي بضريتين ، فضربه علي بسيفه فقد الحجر الذي كان قد ثقبه ووضع على رأسه مكان البيضة وشق المغفر ورأسه نصفين حتى وصل إلى أضراسه ، وسمع أهل العسكر صوت ضربته ، ولما أبصر اليهود فارسهم مرحبا صريعا ولوا منهزمين واستولى المسلمون على الحصن ^(١).

واقطلع باب الحصن وكان حجرا طوله أربعة أذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع فرمى به إلى خلفه ودخل الحصن هو والمسلمون .

موقف النبي (ص) من يهود فدك :

لقد جاء في كتب السيرة والتاريخ : إنه لما تغلب المسلمون على يهود خيبر واستولوا على أموالهم ، وتم الاتفاق بينهم وبين النبي (ص) على أن تبقى الأرض في أيديهم يعملون فيها بنصف الناتج والنصف الثاني للمسلمين ، استولى الخوف على أهل فدك وظنوا أن النبي سيغزوهم

(١) حسين الشاكري : النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ٤٦/٢

وأيقنوا أن لا طاقة لهم بمقابلته ، فأرسلوا إليه قبل أن يتجه نحوهم إنهم على استعداد لأن يسلموه الأرض وما يملكونه على أن يحقق دماءهم ، وعرضوا عليه أن يعملوا في الأرض بنصف الناتج ويلتزموا بما يفرضه عليهم كما اتفق مع يهود خيبر ، فوافق على ذلك وصالحهم على نصف ناتج الأرض ، فكانت خيبر ملكا للمسلمين لأنه استولى عليها بالحرب ، وفدك للنبي خالصة لأنه لم يوجف عليها خيل ولا رجال وقد وهبها النبي لفاطمة الزهراء (ع) في حياته ، فكان يدفع لفاطمة من غلتها ما يكفيها والباقي يصرفه في شؤون المسلمين ، فقد جاء في الدر المنثور للسيوطي وأبي يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعيد الخدري : أنه قال : لما نزلت الآية : (وآت ذا القربى حقه)^(١) دعا رسول الله (ص) فاطمة وأعطاهما فدكا كما روى ذلك جماعة عن ابن عباس^(٢)

المبحث الثالث : دور اليهود في نشأة التطرف

العداء للإسلام متأصل منذ فجر الدعوة الإسلامية، قبل عصر الإمام الصادق (ع) يتوارثه الأبناء والأحفاد ، لأن دعوة النبي (ص) منذ بدايتها كانت موجهة إلى الناس كافة ، سواء منهم العرب أو غيرهم ، وثنيون كانوا أو يهود أو نصارى أو مجوس ، فهي لم تختص بطائفة دون أخرى ، ولا يقوم دون قوم ، ولا بقطر دون آخر ، بل دعوة لرسالة السماء عامة عالمية شاملة ، ولا بد أن تجابه هذه الدعوة بأقوى عدة وبأكثر عدد من المعارضين الذين قضى الإسلام على عقائدهم الفاسدة ومجدهم الغابر ، وهدم هياكل وبيوت عبادتهم التي يعبدونها من دون الله سبحانه وتعالى ، كما هدم صروح الكبرياء والأنانية وأزال عروش الظلم والاستبداد ، فلم يخضع لهذه الدعوة جبابرة قريش الذين ملكت الأنانية قلوبهم ، ولا الأباطرة من ملوك النصارى أو اليهود ، وزعماء الكنيسة وغيرهم ، وهدم النظام الاستبدادي المتعسف بنظام العدل والمساواة في الحقوق والواجبات بين الناس كافة ، فأحست هذه العناصر بخطر الدعوة ، فكانت للوثنية جذورها العميقة في الجزيرة العربية ، وللإهودية قواعد قوية في بلد الهجرة (المدينة المنورة وما حولها) ، وللنصرانية قوة في الشمال ، ولها كنائس وأتباع منبثون في مهد الدعوة ، أضف إلى ذلك المجوسية ومعابدها، وكل هذه العناصر لا يروق لها انتشار هذا الدين وظهوره ، فتظاهر الكل بالعداء للإسلام ، وانتظم عقدهم وتكتلوا لشن حروب شعواء لا هوادة فيها ، حتى نصر الله رسوله ، فتيقنوا أن لا أمل لهم مطلقا في القضاء على الإسلام ، فاندحروا خائبين^(٣).

(١) سورة الإسراء الآية ٢٦ .

(٢) أنظر فضائل الخمسة من الصحاح الستة ١٣٦/٣

(٣) الحاج حسين الشاكري: الإمام الصادق (ع) ٥٧٥/١

فدخل بعضهم الإسلام اعترافاً منهم بعجزهم عن مقاومته ، وآخرون اعتقدوا صدق الدعوة فاستجابوا لها وأسلموا ، وفئة ثالثة دخلوا الإسلام نفاقاً فأظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر ، وبقي الحقد يأكل قلوبهم ، والغيبض يحز في نفوسهم ، فهم يتوارثونه ويتحنون الفرص ويتأهبون للوثبة ، ويعملون من وراء الستار ، وينتظرون الفرصة واليوم الذي ينتقمون فيه من الإسلام وأهله ، ولعل أول عهد حقق آمالهم هو الحكم الأموي ، لأن حكامهم قد رفضوا الخضوع لنظم الإسلام وقوانينه ، فكان دورهم فتحاً لتلك العناصر المعادية للإسلام ، فقد سنحت الفرصة ، وكان لأمرهم متسع ، فقد قرب الأمويون بعضهم ، وجعلوا منهم أداة سياسية يستعينون بهم على ترويح دعاياتهم ، وإظهار مقاصدهم ، كما أقام كعب الأحمبار ، وهو يهودي أسلم في عهد عمر ، فغير مجرى الحوادث والتأريخ ، وأدخل الإسرائيليات في صميم تأريخ الإسلام على مسمع من عمر وعثمان ومعاوية

وعلى كل حال فإن تعرض الإمام الصادق (ع) لهم والبراءة منهم وإعلان ذلك للملأ ، هو امتداد لحركة الأئمة ضد خصوم الإسلام في الحكم الأموي ، الذي كان مسرحاً على لوحته الأمور المناقضة للإسلام والمخالفة لمبادئه ، وقد وجدوا أن أقرب طريق يوصلهم إلى غاياتهم الضالة وتحصيل أمنياتهم هو الدخول في صفوف المسلمين ، والعمل بكل الطرق المتاحة لهم على تفريق كلمة المسلمين وبث روح العداء بينهم ، فتفرقوا لهذا الغرض فرقاً وأحزاباً ، فمن مستجلب ود السلطان لينال مركزاً هاماً في الدولة ، يستطيع بواسطته أن يفسد بعض الأمور ويغير بعض الحقائق ، ومنهم من سلك طريق إظهار المحافظة على الإسلام والانتصار له ، والرد على ما يلصقه به إخوانه الذين سلكوا سبيله في تشويه سمعة الإسلام . ومنهم من ضرب على وتر حساس يستطيع به أن يستميل القلوب ، ويحرك العواطف والشعور بإظهار حب أهل البيت (عليهم السلام) والغلو فيهم ، من حيث تأليب جميع الفئات الحاكمة على ظلمهم من دون مراقبة الله تعالى ولا مراعاة حرمة رسوله (ص) ، وصفوة القول إنهم توزعوا على جميع الطوائف الإسلامية ، فاندسوا في صفوفهم وامتزجوا في مجتمعاتهم ، فهذا سوسن النصراني كان أول من نطق بالقدر وقد أظهر الإسلام ، وعنه أخذ معبد الجهني ، وأخذ غيلان عن معبد ، ثم عاد سوسن إلى النصرانية بعد أن بث فكرته وسمومه .

ومن أعظم المشاكل التي واجهت الإمام الصادق (ع) وأهمها : حركة الغلاة الهدامة ، الذين تطلعت رؤوسهم في تلك العاصفة الهوجاء إلى بث روح التفرقة بين المسلمين ، وترعرعت بنات أفكارهم في ذلك العصر ليقوموا بمهمة الانتصار لمبادئهم وأديانهم التي قضى عليها الإسلام . فكانوا يبنون الأحاديث الكاذبة ويسندونها إلى حملة العلم من آل محمد (ص) ليلبسوا مبدأهم ثوباً لا يليق به ، فكان المغيرة بن سعيد ، يدعي الاتصال بأبي جعفر الباقر (ع) ويروي عنه

الأحاديث المكنوبة ، فأعلن الإمام الصادق (ع) كذبه والبراءة منه ، وأعطى لأصحابه قاعدة في الأحاديث التي تروى عنه ، قال : " لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة ، أو تجدوا معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة ، فإن المغيرة ابن سعيد لعنه الله دس في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها ، فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا وسنة نبينا (ص) . وقال (ع) : " لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن يهودية كان يختلف إليها ^(١) .

وما فتنة خلق القرآن إلا فتنة عمياء هوجاء هبت سمومها في عهد المأمون ، وإن كانت جرائمها قديمة وجذورها عميقة ، فإن حلقاتها تتصل باليهودية الحاقدة على الإسلام والمسلمين ، وإن أصل هذه المقالة الخبيثة هو التأثير باليهودية المغذاة بالفلسفة والسفسطة الكافرة ، تصل جذورها باليهود الذين كانوا في عهد النبي (ص) ^(٢) .

وللإمام الكاظم مناظراته ومحاجاته (ع) مع بعض علماء اليهود والنصارى ، وجرت له أيضاً احتجاجات مع خصومه ومناوئيه وخلفاء عصره ، وقد أفلج (ع) الجميع بحجته البالغة وبرهانه الساطع وأدلتة الوافرة ، وأبطل (ع) مدعاهم وما ذهبوا إليه ، وللإمام (ع) دور بارز في إبطال شبهات الملحدين ومقالاتهم ، سيما في مجال العقائد والتوحيد ، فقد دافع (ع) عن العقيدة الإسلامية المقدسة ، وأثبت زيف معتقدات الملحدين والمنحرفين ^(٣) .

ومن مناظراته (ع) مع بعض اليهود والنصارى ، روى الحميري عن الحسن بن طريف ، عن معمر ، عن الرضا (ع) ، عن أبيه موسى بن جعفر (ع) ، قال : كنت عند أبي عبد الله (ع) ذات يوم وأنا طفل خماسي ، إذ دخل عليه نفر من اليهود فقالوا : أنت ابن محمد نبي هذه الأمة والحجة على أهل الأرض ؟ قال لهم : نعم . قالوا : إنا نجد في التوراة أن الله تبارك وتعالى أتى إبراهيم (ع) وولده الكتاب والحكم والنبوة ، وجعل لهم الملك والإمامة ، وهكذا وجدنا ذرية الأنبياء لا تتعداهم النبوة والخلافة والوصية ، فما بالكم قد تعداكم ذلك وثبت في غيركم ، ونلقاكم مستضعفين مقهورين لا يرقب فيكم ذمة نبيكم ، فدمعت عينا أبي عبد الله (ع) ، ثم قال (ع) : نعم ، لم تنزل أمنا الله مضطهدة مقهورة مقتولة بغير حق ، والظلمة غالبية ، وقليل من عباد الله الشكور ، قالوا : فإن الأنبياء وأولادهم علموا من غير تعليم ، وأوتوا العلم تلقينا ، وذلك ينبغي لأئمتهم وخلفائهم وأوصيائهم ، فهل أوتيتم ذلك ؟ فقال أبو عبد الله (ع) : ادن يا موسى ، فدنوت ، فمسح يده على صدري ، ثم قال : اللهم أیده بنصرك بحق محمد وآله . ثم قال (ع) : سلوه عما بدا لكم . قالوا : وكيف نسأل طفلاً لا يفقه ؟ قلت : سلوني تفقها ودعوا التعنت . قالوا : أخبرنا

^(١) الشاكري ، حسين : الإمام الصادق (ع) ٥٧٥/١

^(٢) المصدر نفسه ١٣/٢

^(٣) نفسه ١١٦/٢

عن الآيات التسع التي أوتيتها موسى بن عمران . قلت : العصا ، وإخراجه يده من جيبه بيضاء ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، ورفع الطور ، والمن والسلوى آية واحدة ، وفلق البحر . قالوا : صدقت ، فما أعطي نبيكم من الآيات التي نفت الشك عن قلوب من أرسل إليهم . قلت : آيات كثيرة أعدها إن شاء الله ، فاسمعوا وعوا وافقوها . أما أول ذلك فأنتم تقولون أن الجن كانوا يسترقون السمع قبل مبعثه ، فمنعت من أوان رسالته بالرجوم وانقضاء النجوم وبطلان الكهنة والسحر . ومن ذلك : كلام الذئب يخبر بنبوته ، وإجماع العدو والموالي على صدق لهجته وصدق أمانته ، وعدم جهله أيام طفولته ، وحين أيفع وقتاً وكهل ، لا يعرف له شكل ، ولا يواريه مثل^(١).

للإمام علي بن موسى الرضا (ع) مناظراته واحتجاجاته ، روي عن الإمام الرضا (ع) أنه ناظر فرقا ومللا مختلفة ، كان من بينهم علماء أهل الكتاب اليهود والنصارى ، وناظر أيضا المجوس والصابئة والزندقة ، وناظر أصحاب المقالات من فرق المسلمين المختلفة في مسائل الاعتقاد وأصول الإسلام وشتى الموارد التي شاع فيها الجدل وكانت متسعا للصراع بين المعتزلة والأشاعرة وغيرهم من سائر الفرق ومحدثي الأمة وفقهائها ، وهي امتداد لما احتج به وناظر جده وأبوه . ومناظرات الإمام الرضا (ع) وأجوبته وجملته محاوراته تستحق التأمل والتوقف ، لأنه (ع) كان بإزاء المأمون العباسي الذي كان يتبنى مذهب الاعتزال أولا ، ثم إنه باعتباره حاكما وخليفة يرى في الإمام (ع) منافسا لا يجارى في العلم والفضل ومكارم الأخلاق ، فأعد مزيدا من مجالس النظر مع سائر الفرق والملل وأصحاب المذاهب المختلفة ، وكان يدعو عمالقة الفكر وأفذاذ العلم وزنادقة العصر وأصحاب الجدل وأهل الأديان ، لنزج الإمام (ع) في معترك الحوار المعقد مع سائر المناظرين ، وكان عصره من أشد العصور انفتاحا بين أهل الكلام والفرق والآراء الشاذة^(٢). وخير ما أختتم به عندما ، قال رجل للصادق (ع) : فإذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب إلا بما يسمعون من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره ، فكيف ذمهم بتقليدهم والقبول من علمائهم ، وهل عوام اليهود إلا كعوامنا يقلدون علماءهم ؟ فقال (ع) : بين عوامنا وعلمائنا وعوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة ، أما من حيث استوتوا فإن الله تعالى ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم عوامهم ، وأما من حيث افترقوا فلا . قال : بين لي يا بن رسول الله . قال (ع) : إن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح وبأكل الحرام والرشاء ، وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات ، وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم ، وأنهم إذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه ، وأعطوا ما لا يستحقه من

(١) حسين الشاكري: الإمام الكاظم (ع) ١٨١

(٢) المصدر نفسه ١١٣

تعصبوا له من أموال غيرهم ، وظلموهم من أجلهم ، وعرفوهم يقارفون المحرمات ، واضطروا بمعارف قلوبهم إلى أن من فعل ما يفعلونه فهو فاسق ، لا يجوز أن يصدق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله تعالى ، فلذلك ذمهم لما قلدوا من قد عرفوه ومن قد علموا أنه لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكايته ، ولا العمل بما يؤديه إليهم عمن لم يشاهدوه ، ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ كانت دلائله أوضح من أن تخفى وأشهر من أن لا تظهر لهم . وكذلك عوام أمتنا إذا عرفوا من فقهاءهم الفسق الظاهر والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا وحرامها وإهلاك من يتعصبون عليه وإن كان لإصلاح أمره مستحقا ، وبالترفف بالبر والإحسان على من تعصبوا له ، وإن كان للإذلال والإهانة مستحقا ، فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء ، فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقة فقهاءهم ، فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه ، مخالفا على هواه ، مطيعا لأمر مولاه ، فللعوام أن يقلدوه ، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم ، فإنه من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة العامة فلا تقبلوا منا عنه شيئا ولا كرامة ، وإنما كثر التخليط فيما يتحمل عنا أهل البيت لذلك ، لأن الفسقة يتحملون عنا فيحرفونه بأسره بجهلهم ، ويضعون الأشياء على غير وجهها لقلّة معرفتهم ، وآخرون يتعمدون الكذب علينا ليجروا من عرض الدنيا ما هو زادهم إلى نار جهنم ^(١).

الكيد السياسي عند اليهود :

لكي نستوفي القول في بيان مدى الكيد اليهودي للإسلام والمسلمين - وإن كان ذلك يعد استطرادا ينحرف بنا عما نحن بسبيله - نكشف لك عن جانب آخر من عمل دهاة اليهود ، ذلك هو الجانب السياسي ، فلقد كان كيدهم في محاربة الإسلام يتجه إلى ضربه من ناحيتين : ناحية دينية وأخرى ^(٢)

ومن الواضح في دخول كعب للإسلام إنه عمل مشكوك فيه وحركة نفاق عظمى أخرج ابن جرير عن عيسى بن المغيرة ، قال : تذاكرنا عند إبراهيم إسلام كعب ، فقال : أسلم كعب في زمان عمر ، أقبل وهو يريد بيت المقدس ، فمر على المدينة ، فخرج إليه عمر ، فقال : يا كعب أسلم . قال أأستم تقرأون في كتابكم { مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل

^(١) حسين الشاكري: الإمام الحسن العسكري (ع) ١٩٦

^(٢) عبدالرحمن البكري: من حياة الخليفة عمر بن الخطاب ١٦٥؛ محمود ابو ريه: أضواء على السنة المحمدية

أسفارا {^(١) وأنا قد حملت التوراة ، فتركه . ثم خرج حتى انتهى إلى حمص ^(٢) والظاهر أن كعبا قد التقى بمعاوية بن أبي سفيان في الشام وهناك تم التنسيق بينهما على إعلان كعب إسلامه ليسهل تطبيق أهدافه اليهودية . ويذكر أن معاوية كان في اليمن (حيث كان يسكن كعب) قبل فتح مكة ! ومن هناك أرسل رسالة لأبيه أبي سفيان ينذره من مغبة دخوله في الإسلام جاء فيها : يا صخر لا تسلمن يوما فتفضحنا * بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا ^(٣)

فعاد كعب إلى المدينة وأعلن إسلامه بعد أن رفض دعوة عمر بن الخطاب السابقة له لدخول الإسلام ، ومنذ ذلك اليوم بدأ التنسيق واضحا بين معاوية بن أبي سفيان وكعب الأحمبار للسيطرة على حكم المسلمين وتحطيم تراثهم ^(٤)

كان في زمن عمر بن الخطاب أربعة يهود يدعون الإسلام أولهم كعب الأحمبار وثانيهم عبد الله بن سلام والوليد بن عقبة بن أبي معيط ^(٥) وزيد بن ثابت . وكان كعب يحاول التقرب إلى عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين هل ترى في منامك شيئا ؟ قال : فانتهره . فقال : إنا نجد رجلا يرى أمر الأمة في منامه ^(٦) .

وكان كعب مثالا للآيتين القرآنيتين : { ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق . . . } ^(٧) { يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون } ^(٨)

ومنذ ذلك التاريخ بدأ التعاون الجاد بين عمر ومعاوية وكعب الأحمبار، وقد أسلم كعب في السنة السابعة عشر للهجرة ، بعد فتح الشام ، وتنصيب معاوية واليا عليها فظاهر الأمر التقاء كعب بمعاوية في الشام واتفاقهما على عودة كعب إلى المدينة وإعلان إسلامه ! وفعلا رجع كعب الأحمبار من الشام إلى المدينة وأعلن إسلامه . لقد كان كعب الأحمبار صاحب شخصية ذكية ،

(١) الجمعة : ٥

(٢) الدر المنثور ٢ / ١٦٩

(٣) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢ / ١٠٢

(٤) ينظر: الزبير بن بكار: المفازات ؛ محمود أبي رية :أضواء على السنة المحمدية .

(٥) مروج الذهب ، المسعودي ٣ / ٣٣٦ .

(٦) ابن منظور: مختصر تاريخ ابن عساكر ١٨ / ٢٨٧

(٧) البقرة : ١٠٩

(٨) آل عمران : ٧١ .

لكن بتوجهات شيطانية . فقد رفض هذا الحبر الأعظم ديانة محمد (ص) ، وعارضها وحاربها .^(١)

وعندما انتصر الإسلام في جبهة الشام ، وفتح المسلمون فلسطين ، وحرروا القدس من سلطة الروم ، انتبه كعب من غفلته أو لنقل توجه كعب لاستغلال هذه الفرصة المتاحة . فالقدس بيد المسلمين . والمسلمون طيبون ومسامحون في الدين عليه يمكن عودة اليهود إلى فلسطين التي أخرجوا منها بأمر الروم ؟ ! والنصارى لا سلطة لهم على الشام ، ولا قدرة لهم على تعذيب اليهود ، أو منعهم من دخول القدس مثل السابق . والسبب الآخر في هذه الفرصة الذهبية ، هو وصول معاوية بن أبي سفيان إلى منصب الوالي الإسلامي في الشام . ومعاوية وأبو سفيان معروفان عند اليهود بالكفر ولهما علاقة وطيدة بهم . والسبب الآخر ، أن اليهود لم يكونوا يرغبون في سكن الحجاز . فهي غير مقدسة في نظرهم ، وخيراتها قليلة ، وحركاتهم مرصودة هناك . وبعد انتصار النبي (ص) عليهم في المعارك المختلفة ، أصبحت مواردهم المالية ضئيلة ، وأراضيهم محدودة المساحة وصغيرة . ولقد كان عمر بن الخطاب يحترم التوراة ، وفيه رغبة لسماع أخبار الكتب اليهودية عن الماضي والحاضر والمستقبل . ولقد أيد العلماء والمحققون إسلام كعب الأخبار في زمن عمر ، ورغم ذلك ملأ الدنيا بأحاديثه التي لا أساس لها من الصحة لعدم رؤيته الرسول (ص) وإسلامه المتأخر . قال الذهبي في تذكرة الحفاظ : إنه (كعب) قدم من اليمن في دولة أمير المؤمنين عمر ، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم ، وروى جماعة من التابعين عنه ، ومات بحمص في سنة ٣٢ أو ٣٣ أو ٣٨ ، بعد ما ملأ الشام وغيرها من البلاد الإسلامية برواياته وقصصه المستمدة من الأخبار كما فعل تميم الداري في الأخبار النصرانية ومن اليهود الذين أعلنوا إسلامهم أيضا عبد الله بن سلام^(٢) .

والأسرائيليات التي بثها اليهود ، أمثال كعب الأخبار ، ووهب بن منبه وغيرهما مما تسلل إلى الدين من الأديان والنحل غير الإسلامية وقبلها المسلمون من غير أن يبحثوا فيها ، أو يفتنوا لها .^(٣)

والاسرائيليات في الحديث لما قويت شوكة الدعوة المحمدية واشتد ساعدها ، وتحطمت أمامها كل قوة تنازعها ، لم ير من كانوا يقفون أمامها ويصدون عن سبيلها ، إلا أن يكيدوا لها من طريق الحيلة والخداع ، بعد أن عجزوا عن النيل منها بعدد القوة والنزاع . ولما كان أشد الناس عداوة للذين آمنوا ليهود ، لأنهم يزعمهم شعب الله المختار ، فلا يعترفون لأحد غيرهم بفضل ، ولا

^(١) نجاح الطائي : فضائح يهود متلبسون بالإسلام ص ٧

^(٢) نجاح الطائي : فضائح يهود متلبسون بالإسلام ص ٨

^(٣) الشيخ محمود أبو ريه : أضواء على السنة المحمدية ص ٢٢

يقرون لنبي بعد موسى برسالة ، فإن رهبانهم وأخبارهم لم يجدوا بدا - وبخاصة بعد أن غلبوا على أمرهم وأخرجوا من ديارهم - من أن يستعينوا بالمكر ، ويتوسلوا بالدهاء ، لكي يصلوا إلى ما يبتغون ، فهداهم المكر اليهودي إلى أن يتظاهروا بالإسلام ويطووا نفوسهم على دينهم ، حتى يخفى كيدهم ، ويجوز على المسلمين مكرهم ، وقد كان أقوى هؤلاء الكهان دهاء وأشدهم مكرًا ، كعب الأخبار ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام ^(١).

ولما وجدوا أن حيلهم قد راجت بما أظهره من كاذب الورع والتقوى ، وأن المسلمين قد سكنوا إليهم ، واغترروا بهم ، جعلوا أول همهم أن يضربوا المسلمين في صميم دينهم ، وذلك بأن يدسوا إلى أصوله التي قام عليها ما يريدون من أساطير وخرافات ، وأوهام وترهات لكي تهيب هذه الأصول وتضعف . ولما عجزوا عن أن ينالوا من القرآن الكريم لأنه قد حفظ بالتدوين ، واستظهره آلاف من المسلمين ، وأنه قد أصبح بذلك في منعة من أن يزداد فيه كلمة أو يتدسس إليه حرف - اتجهوا إلى التحدث عن النبي فافتروا - ما شاءوا أن يفتروا - عليه أحاديث لم تصدر عنه ^(٢).

تحريف اليهود للشفاعة :

مقولاتهم في الشفاعة من مصادرهم عراقية عقيدة الشفاعة - قاموس الكتاب المقدس شفع - شفيح - شفاعة : وهي التوسط بين شخص وآخر ، وهي دليل محبة الإنسان لأخيه الإنسان ، كما أنها مؤسسة على أن معاملة الله للبشر معاملة ليست فردية فحسب بل جماعية أيضا ، والشفاعة الشفاعة قديمة قدم نوح وإبراهيم وموسى وخليفة موسى الذي رفع صلواته كقاضي وكاهن ونبي هو صموئيل وحياة المسيح كانت مليئة بالصلوات الشفاعة ، بل إن الصلاة الربانية تحمل روح الشفاعة في طلب الملكوت ومغفرة ذنوب الآخرين ، والصلاة الشفاعة يرفعها الإنسان لأجل صديق أو لأجل عدو ^(٣).

أولا : أن أصل شفاعة الأنبياء والأوصياء وخيار المؤمنين للخاطئين ، هي عندهم كما عندنا ، أمر ثابت في الرسالات الإلهية من عهد إبراهيم ، بل من عهد نوح (ع) .
ثانيا : أنها أخذت في اليهود شكل شفاعة رؤساء الكهنة ومسؤولي القرايين في المعابد ، ثم وصلت إلى ادعاء اليهود أنهم أبناء الله وأحبائه ، وأنهم شعب الله المختار ، وأنهم لا تمسهم النار إلا أياما معدودة ، فلا يحتاجون إلى شفاعة !

^(١) المصدر نفسه ص ١٤٥

^(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٣٦ / ٢

^(٣) أحمد شلبي : مقارنة بين الأديان ٢ / ٢٤٥

ثالثا : أن (عقيدة الفداء المسيحية) التي تدعي أن المسيح (ع) قد شفع في خطايا كل البشر بتحملة الصלב والقتل ، هي توسيع لعقيدة الشفاعة اليهودية ، وقد اخترعها بولس الذي نصر النصارى ، وعممها لغير القومية اليهودية.

رابعا : أن الإتجاه العام عند محرفي الأديان بعد أنبيائهم هو تسهيل أمر المغفرة الإلهية ودخول الجنة لأتباعهم ، والإفراط في ذلك إلى حد إلغاء قانون العقوبة الإلهية ، وفي المقابل التشدد مع خصومهم ومخالفهم من التابعين لنفس الدين ، والحكم عليهم بأنهم من أهل النار !

خامسا : بما أنه ثبت عن النبي (صلى الله عليه وآله) بأحاديث صحيحة عند الجميع ، أن الأمة الإسلامية سوف تتبع سنن اليهود والنصارى في انحرافها عن الإسلام وتحريفها له ، وفي صراعاتها الداخلية ^(١)

فإن على الباحث أن يكون حذرا متنبها في أحاديث الصحابة في الشفاعة ، لكي يميز بين الثابت منها بنصوص متفق عليها عند جميع المسلمين ، وبين الذي يتبناه صحابي نافذ ، أو فئة حاكمة ، وفي نفس الوقت يوجد في الصحابة من ينفيه أو يكذبه ! ثانيا : مقولاتهم في الشفاعة من مصادرها

ولادة المذاهب المنحرفة من أفكار توسيع الشفاعة:

عمل اليهود على إسقاط المحرمات من الأديان حيث كان اليهود أسبق الأمم إلى تحريف قانون العقوبة الإلهي ، فقد أسقطوا المحرمات عن أنفسهم تجاه الأمم الأخرى ، وخففوا قانون العقوبة الإلهي وشوشوه بالنسبة إلى الجرائم الأخرى التي يرتكبونها ! ومن الطبيعي أن يسرى ذلك إلى عقيدتهم بالله تعالى ، فصوروه بأنه قاس عصبي المزاج ، ولذا فإن عقوباته شديدة وغير منطقية ! وذلك واضح لمن قرأ صفحات قليلة من توراتهم . وقد أخذ المسيحيون هذه الثقافة من اليهود ، وما زالوا . . وقد سمعت أن من المسائل الفكرية المطروحة أخيرا عند الكتاب الغربيين ، خاصة في فرنسا ، موضوع : هل يجب أن يكون في الدين الإلهي محرمات ، أم لا . .

أن اليهود والكتاب المتأثرين بهم يريدون من الكنيسة المسيحية أن تقدم دينا بلا محرمات ، وتقتي بأن المهم هو الإيمان الذي هو أمر في القلب ، مهما كان عمل الناس ! وهذا بالضبط هو مذهب المرجئة الذي زرعه اليهود في عقائد المسلمين ، عن طريق بعض الصحابة ! أما زارعوه الجدد فليسوا كعب الأحرار ولا وهب بن منبه ، بل هم ذراري النصارى واليهود الصرحاء ! والمزروع فيهم ليسوا صحابة ، بل هم ذراري المسلمين المتغربين ! إخبار النبي (صلى الله عليه وآله)

^(١) أحمد شلبي : مقارنة بين الأديان ٢ / ٢٤٦ ؛ مركز المصطفى : العقائد الإسلامية ٣ / ٣٠

وآله) بظهور المرجئة والقدرية وتحذيره منهم روت مصادر السنة والشريعة تنبؤ النبي (صلى الله عليه وآله) بظهور المرجئة والقدرية في أمته وتحذيره من خطرهم ، وأنهم لا تتألم شفاعته ، لأنهم يحرفون الإسلام ويشوشون أمر الأمة من بعده (١).

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صنفان من أمتي لا يردان علي الحوض ولا يدخلان الجنة ، القدرية والمرجئة ، وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بعث الله نبيا قط إلا وفي أمته قدرية ومرجئة يشوشون عليه أمر أمته ، ألا وإن الله قد لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيا عن ابن عمر قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب : المرجئة والقدرية (٢)

وجد في تاريخ الإسلام أفراد تأثروا بثقافة اليهود والنصارى في تجسيم الله تعالى ، ومنهم يهود بالأصل ، ومنهم أتباع لهم ، وقد سماهم الرسول صلى الله عليه وآله في خطبته الشديدة (المتهوكون) وهو تعبير نبوي مبتكر للمتهودين ثقافيا ! ومن هؤلاء بعض الصحابة ، وكعب الأحمبار ، ووهب بن منبه ، ومقاتل بن سليمان وتلاميذهم ، وهم كثيرون . . ثم تبعهم بعض الحنابلة وادعوا أن الإمام أحمد بن حنبل كان يوافقهم على تصوراتهم الخاطئة عن الله تعالى ! ! وكان موقف المسلمين منهم على طول التاريخ رد أفكارهم ورفضها ، فخدم صوتهم . . . حتى قام ابن تيمية فرفع رايتهم ، ووقف في وجهه علماء المسلمين ، وحكموا بانحرافه ، وبعضهم حكم بكفره ! ! وقد ناقشهم ابن الجوزي الحنبلي في كتبه ، وألف كتابا خاصا ضدهم سماه (دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه) ! وفي المرحلة الأخيرة رفع رايتهم ابن عبد الوهاب ، وكفر كل المسلمين إلا من أطاعه ! ! وقد حكم علماء المسلمين بانحرافه ، حتى أبوه وأخوه الشيخ سليمان ، وألف الأخير كتابا فند فيه أفكار أخيه الخاطئة خاصة تكفيره للمسلمين (٣).

مضاهاة بعض المسلمين لليهود

فقد كان الجدل بين المسلمين واليهود كثيرا في عهد النبي صلى الله عليه وآله وفي صدر الإسلام ، ومن أبرز مسأله : المفاضلة بين نبينا صلى الله عليه وآله وبين النبي موسى ع. وقد حاول بعض المسلمين مضاهاة اليهود بمعارضة كل فضيلة يذكرونها لموسى عبثيات فضيلة مقابلها من نوعها لنبينا صلى الله عليه وآله . . وكأن المسألة مغالبة بين نبيين ، وكأن أذهان البشر هي التي تزن فضائل الأنبياء وتعطي أحدهم درجة الأفضلية أو المساواة ! ولهذا عارض هؤلاء فضيلة تكليم الله تعالى لموسى عالتى نص عليها القرآن ، باختراع حديث رؤية النبي صلى

(١) الهيثمي: مجمع الزوائد ٧ / ٢٠٧

(٢) ابن حبان : المجروحين ٢ / ١١٢

(٣) العاملي الانتصار ١ / ٢٠٤

الله عليه وآله لربه ، لكي يتم بذلك تقسيم الفضائل بين الأنبياء عليهم السلام ، ويكون الترجيح لفضائل نبينا (ص)

فقد بلغ من تحريف اليهود لدينهم أنهم قالوا بتشبيه الله تعالى بخلقه ، وأنه محدود بشكل مادي ، ثم جعلوا له ولدا ، فقالوا : عزيز ابن الله ، بل قالوا : إن كل اليهود أبناء الله وأحباءه وشعبه المختار . . إلى آخر ما حكى الله تعالى عنهم في القرآن ^(١).

دور اليهود في عبادة الأوثان :

لم يستطع بنو إسرائيل في أي فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذي دعا له الأنبياء ، وكان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد والنقيصة واضحا في جميع مراحل تاريخهم ، وعلى الرغم من ارتباط وجودهم بإبراهيم إلا أن البدائية الدينية كانت طابعهم ، وكثرة أنبيائهم دليل على تجدد الشرك فيهم ، وبالتالي تجدد الحاجة إلى أنبياء يجددون الدعوة إلى التوحيد ، وكانت هذه الدعوات قليلة الجدوى على أي حال ، فظهروا للتاريخ بدائيين يعبدون الأرواح والأحجار ، وأحيانا مقلدين يعبدون معبودات الأمم المجاورة التي كانت لها حضارة وفكر قلدهما اليهود . ويقول : إن اليهود كانوا في مطلع ظهور التاريخ بدوا رحلا تسيطر عليهم الأفكار البدائية كالخوف من الشياطين ، والاعتقاد في الأرواح ، وكانوا يعبدون الحجارة والأغنام والأشجار ، ويقول : إن اليهود اتخذوا في بيوتهم أصناما صغيرة كانوا يعبدونها ويتنقلون بها من مكان إلى مكان ، وقد ظل بنو إسرائيل على هذا الاعتقاد حتى جاء موسى وخرج بهم من مصر ، ولكن بني إسرائيل - كما يقول ول ديورانت - لم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل ، ولم يستطع موسى أن يمنع قطيعه من عبادة العجل الذهبي. عبادة العجول كانت لا تزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر ، وظلوا زمنا طويلا يتخذون هذا الحيوان القوي أكل العشب رمزا لإلههم . وتقرر التوراة قصة العجل الذي عمله لهم هارون فعبدوه بعد أن تأخر موسى في العودة إليهم ، وكيف خلعوا ملابسهم وأخذوا يرقصون عراة أمام هذا الرب ، وقد أعدم موسى ثلاثة آلاف منهم عقابا لهم على عبادة هذا الوثن وقد بقيت عبادة العجل تتجدد في حياة بني إسرائيل من حين إلى حين ^(٢)

دور اليهود في نشأة التجسيم في عقيدة المسلمين

قال في التوراة : إن الله عز وجل قال لبني إسرائيل : لقد رأيتموني كلكم من السماء فلا تتخذوا معي آلهة الفضة ، ثم قال بعد ذلك : ثم صعد موسى وهارون . ونظروا إليه إسرائيل . . . ذكر

^(١)العالمي الانتصار ٢٠٨ / ٢

^(٢)أحمد شلبي : مقارنة الأديان ٢ / ٢٤٣

في هذا المكان (من التوراة) أن يعقوب صارع الله عز وجل ! حتى قالوا : إن الله عز وجل عجز عن أن يصرع يعقوب ، أن يعقوب قال : رأيت الله مواجهة وسلمت عليه (١).

جاء يهودي إلى علي بن أبي طالب عقال : يا أمير المؤمنين متى كان ربنا ؟ قال : فقال له علي : إنما يقال : متى كان ؟ لشيء لم يكن فكان ، وربنا تبارك وتعالى هو كائن بلا كينونة كائن ، كان بلا كيف يكون ، كائن لم يزل بلا لم يزل ، وبلا كيف يكون ، كان لم يزل ليس له قبل ، هو قبل قبل بلا قبل وبلا غاية ولا منتهى ، غاية ولا غاية إليها ، غاية انقطعت الغايات عنه ، فهو غاية كل غاية (٢).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها فجئ بها ، فقيل ألا نقتلها ؟ . قال : لا . قال فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن أنس بن مالك ، أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ، فأكل منها ، فجئ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألها عن ذلك ، فقالت : أردت لأقتلك ، فقال : (ما كان الله ليسطك على ذلك) أو قال (علي) فقالوا : ألا نقتلها ؟ قال : (لا) فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم . عن أبي هريرة أن امرأة من اليهود أهدت إلى النبي صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة ، قال : فما عرض لها النبي صلى الله عليه وسلم (٣).

وعن ابن عباس : كانت يهود بني قريظة والنضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي (ص) عندهم قبيل أن يبعث (٤).

ويمكن القول أن التجسيم ، والتشبيه ، والرؤية أفكار مستوردة وبدع يهودية ، وذلك عندما انتشر الإسلام في الجزيرة العربية ، لم تجد اليهود والنصارى المتواجدين فيها محيصا إلا الاستسلام فدخلوا فيه متظاهرين به ، غير معتقدين غالبا إلا من شملتهم العناية الإلهية منهم وكانوا قليلين ، ولكن الأغلبية الساحقة منهم خصوصا الأحرار والرهبان ، بقوا على ما كانوا عليه من العقائد السابقة .

وبما أنهم كانوا من أهل الكتاب عارفين بما في العهد من القصص والحكايات والأصول والعقائد ، عمدوا إلى نشرها بين المسلمين بخداع خاص ، وبطريقة تعليمية ، وكانت السداجة تغلب على عامة المسلمين فتلقوهم علماء ربانيين ، يحملون العلم فأخذوا ما يلقون ، بقلب واع ، ونية صادقة

(١) ابن حزم : الفصل في الملل / ١ / ١٤٠

(٢) العاملي : الانتصار / ٢ / ١٩٦ ؛ الصدوق : التوحيد ٧٧

(٣) البخاري : الصحيح ٣ / ١٤١ ؛ مسلم الصحيح : ٧ / ١٤

(٤) ابن سعد : طبقات / ١ / ١٥٩

وبالتالي نشروا في هذا الجو المساعد كل ما عندهم من القصص الخرافية والعقائد الباطلة ، خصوصا فيما يرجع إلى التجسيم والتشبيه وتصغير الأنبياء في أنظار المسلمين بإسناد المعاصي الموبقة إليهم ، والتركيز على القدر وسيادته في الكون على كل شئ حتى على إرادة الله سبحانه ومشيتته ، ولم تكن رؤية الله بأقل مما سبق في تركيزهم عليها ، فما ترى في كتب الحديث قديما وحديثا من الأخبار الكثيرة حول التجسيم ، والتشبيه ، والقدر السالب للاختيار والرؤية ونسبة المعاصي إلى الأنبياء ، فكل ذلك من آفات المستسلمة من اليهود والنصارى فقد حسبها المسلمون حقائق راهنة وقصصا صادقة ، فتلقوها بقبول حسن نشرها السلف بين الخلف واستديم الأمر على ذلك . ومن العوامل التي فسحت المجال للأخبار والرهبان لنشر ما في العهد بين المسلمين حظر تدوين حديث الرسول (ص) ونشره ونقله والتحدث به أكثر من مائة سنة ، فأوجد الفراغ الذي خلفه هذا العمل أرضية مناسبة لظهور بدع يهودية ونصرانية وسخافات مسيحية وأساطير يهودية خصوصا من قبل كهنة الرسول ورهبان النصارى ^(١).

١ - حاول الكهنة والأخبار قتل عبد الله فقال كبيرهم ، ويسمى ربيان : اعملوا طعاما وضعوا فيه سما ، ثم ابعثوا به إلى عبد المطلب . فصنعوا طعاما ووضعوا فيه سما ، وأرسلوه مع نساء متبرعات إلى بيت عبد المطلب . ولما خرجت إليهم فاطمة ورحبت بهن قلن : نحن من قرابتك من بني عبد مناف . فقال عبد المطلب : هلموا إلى ما خصكم به قرابتكم ، فقاموا وأرادوا الأكل منه ، وإذا بالطعام قد نطق بلسان فصيح وقال : لا تأكلوا مني فأني مسموم . وكان هذا من دلائل نور رسول الله (ص) فامتنعوا من أكله وخرجوا يقتفون أثر النساء فلم يروا لهن أثرا

٢ - وحاول الأخبار قتل عبد الله بن عبد المطلب مرة أخرى فجاءوا من الشام إلى مكة بصفة تجار ، ومعهم سيوف مسمومة ، وفي مكة تحينوا الفرصة لقتل عبد الله فحصلوا على فرصتهم أثناء ذهاب عبد الله إلى الصيد خارج مكة . ولما حاصروا وأوشكوا على قتله أنجاه الله تعالى منهم بمساعدة بني هاشم ، فقتل بعض الأخبار وأسر الآخرون ^(٢)

محاولة اليهود قتل الرسول (ص) في الشام قال بحيرى لأبي طالب : أرجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغينه شرا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده . فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما روى الناس . أن زريرا وتامما ودريسا ، وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله (ص) مثما رآه بحيرى في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه

(١) جعفر السبحاني: الالهيات ص ٣٠٤

(٢) نجاح الطائي : إغتيال النبي ص ١٢

أبي طالب . فأرادوه فردهم عنه بحيرى وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه ^(١) .

سيرة اليهود تختلف عن سيرة باقي الأمم والشعوب فقد وهبهم الله تعالى فرص عظيمة من الخير والصلاح بما أرسله لهم من أعداد كثيرة من الأنبياء . ولو ساروا على نهج الباري عز وجل لا فلقوا ونجحوا لكنهم حادوا عن الطريق وانحرفوا عن الأنبياء . فأصبح بنو إسرائيل عارفين بالشرائع السماوية هاضمين لأحكامها وزائغين عنها ! فأخذت الناس تقول لكل عالم بالدين وبعيد عنه : إنه من بني إسرائيل . وتحول بنو إسرائيل إلى فتنة للإنسانية جمعاء مع قلتهم فترى الأمم والشعوب تشكو منهم والحكومات تحتاط منهم في مختلف أرجاء العالم ، وعلى مرور الأيام والسنين ، فالروم أخرجوهم من فلسطين انتقاما لأعمالهم الدنيئة بحق النصارى المتسببة في مقتل عشرات الآلاف منهم . والأسبان طردوهم من البلاد لكثرة مؤامراتهم . وشعوب العالم الحالية ما زالت تنتن تحت وطأة جرائمهم . وسوف يستمر اليهود في مشاريعهم اللا إنسانية إلى أيام الإمام المهدي (ع) الذي سينتصر عليهم ويمزقهم تمزيقا . ومشكلة اليهود تتمثل في تكبرهم على البشرية والشعور بأنهم شعب الله المختار ، فتراهم يحرقون الأمم بويلاتهم ويجيعون الناس باحتكارهم للطعام ويفرقون المجتمعات بفتنهم وتكبر اليهود العنيد هو الذي دفعهم إلى تخريب الدول وتفتيت العوائل وإشعال الحروب . فتراهم اليوم يقودون تجارة المخدرات في العالم ويديرون مؤسسات القمار في الدنيا وبين هذا وذا تراهم يؤسسون ويدعمون مؤسسات الفسق والفجور .

إن سيطرة اليهود على رؤوس أموال عظيمة هو الذي سمح لهم بهذه المشاريع الكبيرة والخطيرة فمع قلتهم يستولون على حركة المال في الدنيا . وترجعهم على قيادة المؤسسة المالية العالمية هو الذي سمح لهم في التدخل في الشؤون السياسية والدينية والاجتماعية وغيرها . وتحرك اليهود نحو رئاسة الحركة المالية والاقتصادية هو الذي ساعدهم في كل زمان ومكان . فالأنصار في المدينة المنورة قبل الهجرة كانوا يقترضون الأموال من اليهود وينسب ربوية عالية . واستمر الكثير من المسلمين المحتاجين في ذلك العمل مع اليهود . وتمكن اليهود بواسطة معاملاتهم الربوية وبخلهم واحتكارهم للأطعمة من جمع ثروات مالية طائلة . وسعى اليهود بقوة لتحطيم الدول النامية والمؤسسات الإصلاحية والديانات السماوية فلقد دخل أحبارهم في الديانتين النصرانية والإسلامية لتحطيمهما ، وأدل دليل على ذلك دخول كعب الأحبار زعيم يهود اليمن في الدين الإسلامي زيفا ، وسعيه المتواصل والحديث لنسف تراث محمد (ص) ^(٢)

الخلاصة:

(١) المصدر نفسه ص ٣٢

(٢) نجاح الطائي : فضائح يهود متلبسون بالإسلام ص ٧

تطرقنا في المباحث السابقة عن دور اليهود التخريبي في صدر الإسلام ، حيث كانت البداية ، جذورهم التاريخية ولغتهم العبرانية، ثم عرجت الى اليهود قبل الإسلام وذلك لأهمية الحقبة التاريخية ، وتداخلها في حضارة العرب ولهم ذكر ومساحه واسعه في القرآن الكريم ، وقد تحاشيت الإسهاب في عرض بعض المفردات التي تثير حفيضة قسم من الباحثين ، فأحلت الأمر على المصادر والمراجع التي يمكن الرجوع اليها.

وقد تبين أن الخوض في غمار الدور التخريبي لليهود في صدر الإسلام تمتد جذوره الى كل حياة الرسول (ص) منذ ولادته حتى استشهاده وأمتدت الى عدة عقود ، حيث تشكلت فيها الجذور السياسية والاجتماعية والثقافية داخل المجتمع الإسلامي ، الا أنها تحظ بالاهتمام المرجو من قبل الباحثين والمفكرين ، فأن تناول تلك الحقبة لا يروي ظمأ طلاب العلم والحقيقة.

وقد تبين أن لليهود دور في نشأة الفرق المتطرفة ، حيث كان لهم تأثير على عرب الجزيرة عموماً ، وفي نشأة التطرف خصوصاً ، وظهور الكيد السياسي عندهم ، وتحريف مفهوم الشفاعة التي تأسست منها المذاهب المنحرفة التي أدت الى مضاهاة بعض المسلمين لليهود ، ودورهم في عبادة الأوثان أو في نشأة التجسيم .

وأبتهل الى الله العلي القدير أن يتقبل عملي هذا ، ويؤخذ بيدي الى شاطئ التوفيق ، أنه نعم المولى ونعم النصير .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة
- ابن الأثير : البداية والنهاية
- أحمد بن حنبل : المسند
- أحمد الشلبي: مقارنة الأديان ، اليهودية
- إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية
- البخاري : الصحيح
- ابن حبان : المجروحين
- جعفر السبحاني: الالهيات
- ابن حزم : الفصل في الملل
- حسين الشاكري: النبي الأكرم صلى الله عليه وآله
- الزبير بن بكار: المفازات
- سليمان مظهر : قصة العقائد
- ابن سعد: طبقات
- الصدوق : التوحيد
- العاملي : الانتصار
- العقاد: العبريات الإسلامية
- عبدالرحمن البكري: من حياة الخليفة عمر بن الخطاب
- ابن عساكر : تاريخ دمشق
- غوستاف لوبون : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى
- فؤاد حسنين : التوراة
- ابن ماجه : السنن
- محمد بن عقيل: تقوية الايمان
- محمد جواد البلاغي: الرحلة المدرسية
- محمود ابو ريه: أضواء على السنة المحمدية
- المسعودي : مروج الذهب
- مسلم : الصحيح:
- ابن منظور: مختصر تاريخ ابن عساكر

- نجاح الطائي : فضائح يهود متلبسون بالإسلام
- أبي نعيم : دلائل النبوة
- الهيثمي: مجمع الزوائد
- نجاح الطائي : إغتيال الرسول(ص)
- فضائح يهود متلبسون بالإسلام
- الواقدي : شرح النهج
- يوسف رزق الله غنيمة: نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق